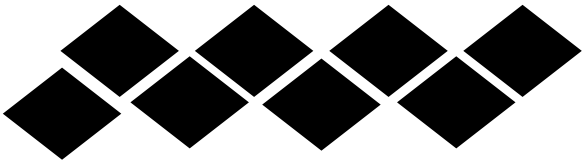

صورة الحيوان بين الفكرين الإسلامي والغربي

(أوغسطين والجاحظ: نماذج مختارة)

الباحثة

صفاء عبد الحميد زهدي محمد

باحثة بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2021.95687.1232

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٣ (الجزء الأول) يوليو 2021

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

صورة الحيوان بين الفكرين الإسلامي والغربي
(أوغسطين والجاحظ: نماذج مختارة)

إعداد

صفاء عبد الحميد زهدي محمد

باحثة بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

safaazohdy@yahoo.com

الملخص باللغة العربية:

كان الإنسان منذ القدم على صلة وثيقة بموجودات الطبيعة من حوله، إذ تعامل مع هذه الموجودات من جماد ونبات وحيوان بما يحقق له النفع والألفة، وبما يخدم حياته المعيشة. وإن الحيوان بمختلف أنواعه وصوره من أكثر هذه الموجودات التصاقا بحياة الإنسان، فهو وسيلته في الحرب ورفيقه في السفر، ومصدر طعامه وشرابه، مما جعل صورته واضحة على مر العصور، وفي هذا البحث سوف نتعرف على صور الحيوان من منظور "أوغسطين" والفكر الغربي، فإنه ليس ثمة شك بأن أكثر حركات "حقوق الحيوان" في العالم هي حركات مسيحية الأصول، باعتبار المنتمين إليها، على رأسهم وليم كاوهيرد أول قسيس مسيحي يؤسس لفكرة "النباتية المسيحية" فقد نادى أتباعه بفكرة المنع عن أكل الحيوانات تورعاً وزهداً، بالإضافة لأندرو لنزني أشهر القساوسة الكتّاب ذوي النشاط الكثيف في الدفاع عن حقوق الحيوان. وكذلك الجاحظ دافع الجاحظ عن الحيوان وحقه في الحياة؛ حيث ظهر ذلك بشكل متكامل في كتابه "الحيوان" حيث ذكر للحيوانات فضائل أخلاقية مثل الإنسان، كوفاء الكلب، وخبث الثعلب.

الكلمات المفتاحية: الحيوان، أوغسطين، الجاحظ، تحرير الحيوان، البيئة.

المقدمة:

تكمن أهمية البحث في كونه يعالج نوعًا من القضايا الفلسفية الشائكة، هذه القضايا الإنسانية والبيئية يمكن أن نطلق عليها مشكلات مثيرة للجدل، وكذلك مثيرة للتساؤلات؛ حيث لا يوجد عند أي فيلسوف رأى صارم، أو فكر قاطع يستطيع أن ينهي به الخلاف القائم حول هذه القضايا، وذلك لكون مشكلة الحيوان في أصلها مشكلة أخلاقية، في حين كونها أيضًا مشكلة بيئية.

وبما أن البحث يندرج ضمن واحدٍ من أهم فروع الفلسفة التطبيقية المعاصرة، ألا وهو فلسفة البيئة، فإذا كانت البيئة ذلك الوسط الفيزيائي، والكيميائي، والحيوي الذي يحيط بكافة الكائنات الحية، ومن بينها الإنسان، فإن فلسفة البيئة تتناول ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في تعامله مع بيئته من أرض، ونباتات، وحيوانات وغيرها. لذا كانت فلسفة البيئة من أهم فروع الفلسفة المعيارية كعلم الجمال، وفلسفة الأخلاق؛ حيث تبحث في علاقة الإنسان بالأرض، والحيوانات، والنباتات التي تنمو عليها، لذا جاء البحث عند اثنين من فلاسفة العصور الوسطى الإسلامية والمسيحية؛ ألا وهما: أوغسطين والجاحظ.

أولاً: الحيوان في الفكر المسيحي "القديس أوغسطين (*) نموذجاً".

عُرف المسيح –عليه السلام– (٤ ق.م – ٣٣ م) بالرحمة والإحسان. فقد كان رجلاً بسيطًا من رعاة الغنم. وما هذه الوظيفة النبوية إلا إشارة لاقتراب الأنبياء من الحيوان، رغم ذلك إلا أن الديانة المسيحية كغيرها من الديانات، ديانة ذات مركزية إنسانية human centrality، تعتقد فكرة "هيمنة الإنسان على الكائنات" وقد دامت هذه الفكرة تاريخياً إلى هذا العصر عند كبار القديسين من أمثال أوغسطين (٣٥٤ – ٤٣٠) وتوما الأكويني [١].

وفي العصور الوسطى، شدَّد الفلاسفة المسيحيون من أمثال القديس أوغسطين وتوما الأكويني على الزعم القائل إن افتقار الحيوانات إلى العقل يبرر وقوعها في مرتبة أدنى من البشر، وهو طرح تقبَّله معظم المسيحيين آنذَّاك. وبينما اتُّفق على أن الحيوانات تقع في مرتبة أقل من، شدَّدت اليهودية في تراثها الأقدم أكثر مما شددت المسيحية على ضرورة تقليل الألم الوقع على الحيوانات(٢).

لاحظ علماء الحيوان أن الكلاب تنظر إلى وجهنا وتقلب وجهها في وجهنا، كأنها تقرأ سطوراً في وجوهنا، والحقيقة أنها تقرأ. فقد كنا نظن لعشرات السنين أن الكلاب والقطط والأطفال الصغار يتعرفون على وجوهنا أو علينا من الرائحة أو العلامات غير الواضحة في وجوهنا، ولكن أثبتت التجارب المعملية أن الكلاب عندما تنظر إلى وجوهنا، مرة من الشمال إلى اليمين ومرة خرى من اليمين الي الشمال، فإنها تقرأ سطوراً ومفردات لا نعرفها. ربما كان القديس أوغسطين أول من اهتدى إلى هذه الحقيقة العلمية، فقد كان القديس أوغسطين يحب الحيوانات، وكان حريصاً على أن يحيط نفسه بها، ويرى أن الرحمة ليست رحمة الإنسان بالإنسان وإنما رحمة الإنسان بالحيوان، وفي كلمة وجهها الى أمه يقول فيها: لا تشغلي بالك، لقد اتفقنا على الحب والسلام – يقصد السلام مع الحيوانات – لقد قرأ وجهها وقرأت وجهه، فقد عرف القديس من أربعة عشر قرناً ما اهتدينا له الآن. (٣)

ولقد قامت بين اللاهوتيين مناقشات عديدة تتعلق بالحيوانات التي صرفوا عليها اسم الحيوانات "الزائدة عن الحاجة"، أما القديس أوغسطين فقد كان ذا ميزة خاصة امتاز بها في هذا الميدان. فقد قال: "إني أعترف صراحة بجهلي وقصوري عن إدراك السبب الذي من أجله خُلقت الفئران أو الضفادع أو الذباب أو الديدان. إن كل الحيوانات إما أن تكون نافعة أو مُضرة أو زائدة عن الحاجة بالنسبة إلينا، أما

المخلوقات المضرة فنعلل وجودها بأنها إنما خُلقت لتعاقبنا أو لتنظمنا أو لتزعجنا حتى لا نتمادى في حب هذه الحياة "أما الحيوانات الزائدة عن الحاجة فقد قال فيها: "إن هذه الحيوانات وإن كانت غير لازمة لخدمتنا، إلا أن مجمل تصميم الكون قد انتهى عندها وفرغ منه بها". أما مارتن لوثر (*) فقد اتبع ما قال القديس أوغسطين في بحث كثير من المشكلات اللاهوتية، فقد نفر من أن يتابعه تمتماً إزاء هذا الإشكال. فإنه اعتقد بأن الذبابة ليست فقط زائدة عن حاجة الخلق، بل هي مُضرة أيضاً فهي كثيراً ما يرسلها عليه الشيطان لتشغله عن القراءة وتقطع عليه تيار فكره. (٤)

مع هذه المواقف الأيديولوجية، لا تزال وقفات مضيئة من التاريخ المسيحي في معاملة القديسين مع الحيوان بإحسان تام، بما ينتهي أحياناً إلى رفعة في المرتبة العقلية ومحادثته كإنسان، كمعاملة القديس أنطونيو اللشبوني (١١٥٩ – ١٢٣١) في محادثته الدائمة للأسماك، والقديس فرنسيس الأسيزي (١١٨١ – ١٢٢٦) الذي كان يطعم الطيور الحمام ويسميها إخوانه وأخواته ويقف من أجلها أثناء سفراته ويحادثها لكونها انعكاساً للإله، نهايةً بتصريح البابا فرنسيس (١٩٣٦) الذي راجع هذه الهيمنة الانسانية قائلاً : "في هذا العصر، لم يعد بوسع الكنيسة أن تُصرّح بأن الحيوانات خاضعة لهيمنة الانسان وحاجاته". ومثل هذه الممارسات والتصريحات بالتوفيق مع اعتبارات تاريخية ساهمت في أن أعادت تأويل فكرة هيمنة الإنسان على الحيوان على أنها قوامة وشراكة في الأرض لا أكثر. ولهذه الفكرة أسسٌ ومنطلقات مسيحية باعتبار أصول الإنسان/ الحيوان في الإله، ووصف الجنة على أنها موطن للإنسان والحيوان على السواء، يتعايشان فيه بسلام بحسب النبي أشعياء. فكرة دخول الحيوان إلى الجنة تعطي الحيوان قيمة اعتبارية فضلى إذ أصبح وجوده في الجنة جزاءً ونعماء للبشر، وهي فكرة يندر وجودها في الديانات الأخرى.

ليس ثمة شك بأن أكثر حركات "حقوق الحيوان" في العالم هي حركات مسيحية الأصول، باعتبار المنتمين إليها، على رأسهم وليم كاوهيرد (١٧٦٣ – ١٨١٨) أول قسيس مسيحي يؤسس لفكرة "النباتية المسيحية" فقد نادى أتباعه بفكرة المنع عن أكل الحيوانات تورعاً وزهداً، بالإضافة لأندرو لنزني (١٩٢٥) أشهر القساوسة الكتّاب ذوي النشاط الكثيف في الدفاع عن حقوق الحيوان. (٥)

فقد دافع توما الأكويني، عن مواقفه تجاه الحيوانات، وقد نكون على استعداد لقبول أن الأكويني استخدم الأفكار الدينية والأخلاقية والميتافيزيقية التي سادت في زمنه لإخفاء المصلحة الذاتية المجردة للتعاملات البشرية مع الحيوانات الأخرى إذا استطعنا أن نرى أن الأجيال الماضية قد قبلت كمواقف صحيحة وطبيعية نعترف بها كتمويه إيديولوجي للمظاهر التي تخدم المصلحة الذاتية وإذًا، في الوقت نفسه، لا يمكن إنكار استمرارنا في استخدام الحيوانات لتعزيز مصالحنا الخاصة الصغيرة في انتهاك لمصالحهم الرئيسية –وقد يتم إقناعنا باتخاذ وجهة نظر أكثر تشككا بشأن تلك التبريرات لممارساتنا الخاصة التي اعتبرناها نحن أنفسنا صحيحة وطبيعية(٦).

وكذلك يعتقد الفيلسوف الأسترالي بيتر سنجر أن "الاعتقادات المسيحية" تعد نوعانية من حيث جوهرها، في تأكيدها على أن أعضاء الانسان العاقل يجب أن يتمتعوا ببعض الاعتبارات الأخلاقية الخاصة بحكم كونهم مخلوقين بشكل فريد على صورة الله. وعلى الرغم من أنهم يدعون أنهم مؤيدون للحياة، فإن موقف الأنواع هذا ينتهي به الأمر إلى كونه مبرراً لكيفية تعامل الكثيرين منا بشكل رهيب أو بلا مبالاة مع حياة الحيوانات الأخرى(٧).

ولكن دعونا نتساءل هل من الكافي أن نحكم على المسيحية بشكل رئيسٍ بتعاليم أوغسطين والإكويني وبولس؟

بعض المسيحيين المهتمين بالحيوانات والبيئة ذكروني بوجود أرواح نبيلة، مثل القديس يوحنا كريسوستوم وباسيل، وفرانسيس الأسيزي، والقديسين الذين يعيشون في البرية، الذين يصبحون، وفقا للعديد من الأساطير، قريبين من الحيوانات ويعاملونها بلطف واحترام. هؤلاء موجودة بالطبع، ولكن بالنسبة لمعظم التاريخ المسيحي لم يكن لهم تأثير يذكر. ففي التقاليد الكاثوليكية الرومانية على سبيل المثال، لم يكن منع القسوة في التعامل مع الحيوانات، من أجل حماية الحيوانات، محوراً للتدريس الأخلاقي على الإطلاق [٨].

واليوم، هناك مسيحيون مثل أندرو لينزي، وماثيو سكالي، وديفيد كلوف، يتحدثون عن الحيوانات ولكنهم أيضاً لم يقنعوا هرمية كنائسهم بجعل الاهتمام بالحيوانات جزءاً بارزاً من تعاليمهم الأخلاقية وفي كل هذه الجوانب، فإن التقليد المسيحي أدنى منزلة من التفكير البوذي، حيث يشكل التعاطف مع كل الكائنات الواعية المبدأ الأساسي. ومع ذلك، لا بد من الاعتراف بأن معاملة الحيوانات في الممارسة العملية ليست أفضل في البلدان ذات الخلفية البوذية من تلك التي كانت مسيطرة فيها المسيحية لفترة طويلة. ولعل التعاليم الدينية بشأن الكيفية التي ينبغي لنا أن نعامل بها الحيوانات غير فعّالة إلى حد كبير [٩].

من أقوال المسيح عليه السلام:

"قالوا: ومر المسيح بن مريم في الحواريين بجيفة كلب، فقال بعضهم: ما أشد نتن ريحه! وقال: فهلاَّ قلتَ: ما أشد بياض أسنانه!!

قالوا: وقال رجلٌ لكلب: اخسأ، ويلك! فقال همام بن الحارث: الويل لأهل النَّار." [١٠]

أما بالنسبة لفكرة ان الشيطان يظهر على هيئة حيوان فنجد رهبان الكنيسة في فرنسا يؤكدون أن الشيطان يمكن أن يتخذ شكل أي حيوان من الحيوانات. وساد الاعتقاد بأن الغاية من استقرار الشيطان في جسد الحيوان هو تخويف الناس وإيذائهم، أو نقل السحر إليهم في ايام عطلهم. وفي مثل هذه الحالة فإن الشيطان كان يتخذ شكل ذكر الغنم او تيس الماعز الضخم[١١] .

رابعاً: الحيوان في الفكر الإسلامي "الجاحظ (*) نموذجًا":

وعندما ننتقل بالحيوان إلى الفكر الإسلامي فإن شخصية العلامة الكبير عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تفرض نفسها على الفور؛ وذلك لأننا نستطيع أن نقول: إن الجاحظ أول واضع لكتاب عربي جامع في علم الحيوان. وعلى الرغم من وجود محاولات شتى لطائفة من العلماء في عصره يتحدثون فيها عن الحيوان، ولكن هذه الكتب لم تؤلف للقصد العلمي الخالص، وإنما قصدت أن تكون باحثةً في اللغة أولاً، فهي بمثابة معجمات لغوية خاصة بما ألفت له، فهي لا تبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحتاً، ولا تعني بدقائقه وغرائزه وأحواله وعاداته، وإنما تجعل همها الأول والثاني هو اللغة.

أما الجاحظ فكتابه "الحيوان": والذي يتكون من سبعة أجزاء – ينطلق بالقصد العلمي التفصيلي للحيوانات جميعاً، ولكل مملكة من ممالكه ولكل جنس من أجناسه. وهذا هو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممن كتب في الحيوان. [١٢]

وهكذا مهد الجاحظ ومن جاء بعده الطريق لظهور مؤلفات عربية تذكر الحيوان في القرن الثالث عشر ميلادي ومنها كتاب "عجائب المخلوقات" للعلامة "زكريا بن

محمد بن محمود القزويني" (١٢٠٣ – ١٢٨٣ م). قد تأثر الجاحظ بكتاب "الحيوان لأرسطو" ولكنه رد منه الشيء الكثير الذي وجده لا يتناسب مع روح العصر، وتأثر كذلك ببعض الآراء الطبية "لجالينوس" (١٢٩ – ٢١٦ م) وغيره. [١٣]

إن الحديث عن الحيوان يطرح في الذهن سؤالًا مهمًا ألا وهو: هل الحيوان لديه فضيلة؟ ان القارئ لكتاب الحيوان للجاحظ سوف يجد الإجابة عن هذا السؤال باستفاضة، ففي الجزء الخامس من هذا الكتاب تحدث الجاحظ عن (حب العصافير لفرخها) وقال: "وليس في الأرض طائرٌ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ، أحن على ولده، ولا أشد به شغفاً، وعليه إشفاقاً من العصافير. فإذا أصيبت بأولادها، أو خافت عليهم العَطب، فليس بين شيء من الأجناس من المساعدة، مثلُ الذي مع العصافير؛ لأن العصفور يرى الحية قد أقبلت نحو حجره وعشه ووَكره، لتأكل بيضه أو فراخه، فيصيح ويرنق، فلا يسمع صوته عصفورٌ إلا وأقبل إليه، وصنع مثل صنيعه بتحرق ولوعة وقلق واستغاثة وصراخ، وربما أفلت الفرخ وسقط الى الأرض – وقد ذهبت الحية – فيجتمعن عليها، وإذا كان قد نبت ريشة أدنى نبات، فلا يزلن يهيجنه، ويطرن حوله، لعلمها أن ذلك يحدث للفرخ قوة على النهوض، فإذا نهض طرن حواليه ودونه، حتى يحتثثنه بذلك العمل ". [١٤] وهذا التماسك بين العصافير يكاد لا نجده عند بني البشر[١٥].

أما الكلب فإن الجاحظ يفرد له فصولاً طويلة يعرض فيها فضائله المتعددة بإسهاب شديد فيتحدث أولاً _كما يقول المفكر الهيجلي "إمام عبد الفتاح إمام (١٩٣٤ –٢٠١٩ م)" عن "كرم الكلب": وهذا الكرم في الكلاب عام، فالكلب يحرس ربه، ويحمي حريمه، شاهداً وغائباً، ذاكراً وغافلاً، نائماً ويقظاً، ولا يقصر في ذلك وإن جفوه، ولا يخذلهم ان خذلوه" وليس ذلك فقط بل "إن الكلب أيقظ الحيوانات عيناً في وقت حاجتهم إلى النوم، وإنما نومه نهاراً عند استغنائهم عن حراسته، ثم تراه لا ينام إلا غراراً وإلا

غشاشاً". [١٦] أي نوع من الكرم هذا! فان الكلاب تقدم – بدون مغالاة في قولي هذا – ما لا يقدمه الانسان من كرم واخلاص لمن أواه من الناس.

ويعرض لنا د. إمام عبدالفتاح الأمثلة التي عرضها الجاحظ في كتاب "الحيوان"، والتي تتحدث بصورة بليغة عن وفاء الكلب، فيذكر لنا د. إمام قصة طريفة عن رجل خرج إلى المقابر ينتظر إبلاً قادمه من مكان ما، فاتبعه كلبه، وحاول الرجل رده ولكن الكلب أبى إلا أن يتبع صاحبه، ولما وصل الرجل إلى المكان الذي ينشده جلس الكلب على مقربة منه ، وأتى قوم لهم عند الرجل ثأر وهجموا عليه، وكان مع الرجل جار وأخ قريب له فتركاه وفرا، ودار بين الرجل وأعدائه صراع انتهى بجرح الرجل جراحات كثيرة ، فأخذوه ورموه في حفرة وأهالوا عليه التراب. وكان الكلب في أثناء ذلك كله ينبح بشدة وحين انصرف القوم تقدم الكلب ونبش عن صاحبه التراب وكشف عن رأسه فتنفس وردت إليه الروح بعد أن كاد يموت، ثم جاءت قافلة فأخرجت الرجل من الحفرة وساعدته في العودة إلى قومه [١٧]

ويرى الجاحظ "إن عمل الكلب هذا يدل على وفاءٍ طبيعي وإلفٍ غريزي ومحاماةٍ شديدة، وعلى معرفةٍ وصبرٍ، وعلى كرم وشكر، وعلى غناءٍ عجيب ومنفعةٍ تفوق المنافع؛ لأن ذلك كله كان من غير تكلف ولا تصنعٍ. [١٨]

وهناك اتهام للكلب باللؤم حيث قال قائل: إن من لؤم الكلب وغدره ان اللص إذا اراد دار لأهله أطعم الكلب الذي يحرسهم قبل ذلك مراراً ليلاً ونهاراً، ودنا منه ومسح ظهره، حيث يثبت صورته، فإذا اتاه ليلاً أسلم إليه الدار بما فيها. ولكن الجاحظ يرى أن هذا التأويل لا يكون إلا من نتيجة سوء الرأي؛ فإن سوء الرأي يصور لأهله الباطل في صورة الحق. [*] وفيه بعض ظلم للكلب وبعض المعاندة للمحتج عن الكلب وقد

ثبت للكلب استحقاق المدح من حيث أراد أن يهجوه منه، فإن كان الكلب بفرط إليه وشكره كف عن اللص عند إحسانه، وإثبات صورته، فما أكثر من يفرط عليه الحياء حتى ينتسب إلى الضعف والكرم وحتى ينسب إلى الغفلة. (١٩)

ولو كان للكلب آلة يعرف بها عواقب الأمور وحوادث الدهور وكان يوازن بين عاجلها وآجلها، وكان يعرف الحجة من الشبهة، والثقة من الريبة، ويثبت في العلة، ويخاف زيغ الهوى وسرف الطبيعة، لكان من كبار المكلفين، ومن رءوس الممتحنين. (٢٠).

ويخصص الجاحظ في كتابه عنصر يسميه (ما يحسن الكلب مما لا يحسنه الإنسان) ويقول: "سنذكر طرفا مما أودع الله – عز وجل – الكلب مما لا تحسنه أنت أيها الإنسان، مع احتقارك له وظلمك إياه".

"وكيف لا تكون تلك الحكم لطيفة، وتلك المعاني غريبة، وتلك الإحساس دقيق، ونحن نعلم أن أدق الناس حسا وأرقهم ذهناً وأحضرهم فهماً، وأصلحهم خاطراً وأكملهم تجربة وعلما، لو رام الشيء الذي يحسن الكلب في كثيرٍ من حالات الكلب لظهر له من عجزه وخرقه، وكلال حده وفساد حسه، مالا يعرف بدونه أن الأمور لم تقسم على مقدار رأيه، ولا على مبلغ عقله وتقديره، ولا على محبته وشهرته؛ وأن الذي قسم ذلك لا يحتاج الى المشاورة والمعاونة، وإلى مكانفة ومرافدة، ولا إلى تجربة وروية. ونحن ذاكرون من ذلك جملا إن شاء الله تعالى". (٢١)

ويعرض الجاحظ الأبيات الشعرية لابن الطثرية في أنس الكلب وإلفه، وحبه لأهله ولمن أحسن إليه .

يا أم عمرو أنجزي الموعودا وراعي بذلك أمانة وعهود

ولقد طرقت كلاب أهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رقود

يضربن بالأذناب من فرحٍ بنا متوسدات أذرعاً وخدوداً

ذكر الجاحظ الكلب ونبأ عنه في القرآن الكريم، في سورة الكهف في قوله – تعالى – (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رُعباً [١٨] فخبر أنهم لم يستصبحوا من جميع من يألف الناس ويرتفقون به، ويسكنون إليه، شيئاً غير الكلب. وليس يكون ذلك من الموفّقين المعصومين المؤيدين، إلا بخاصةٍ في الكلب لا تكون في غيره.

ثم أعاد الجاحظ ذكر الكلب، في قوله عزَّ وجل: (إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً [٢١] سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامِنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل. فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً [٢٢]) وهذا دليل على أن الكلب رفيع الحال، نبيه الذِّكر، إذ جعل رابعهم، وعطف ذِكره على ذكرهم، واشتق ذكره من أصل ذكرهم، حتى كأنه واحد منهم، ومن أكفائهم أو أشباههم، ومما يقاربهم. ولولا ذلك لقال: سيقولون ثلاثة معهم كلب لهم. وبين قول القائل معهم كلب لهم، وبين قوله – تعالى – رابعهم كالبهم، فرق بيّن، وطريق واضح [٢٢].

وقد ذكر الجاحظ باب للحمام

قال صاحب الحمام: الحمام وحشي، وأهلي، وبيوتي، وطوراني. وكل طائر يعرف بالزواج، وبحسن الصوت، والهديل، والدعاء، والترجيع فهو الحمام، وإن خالف بعضه بعضاً في الصوت واللون، وفي بعض القدَّ الهديل. [٢٣]

وهنا يروي لنا الجاحظ عن شرب الحمام:

ومتى رأى إنسان عطشان الديك والدجاجة يشربان الماء، ورأى ذئباً وكلباً يلطعان الماء لطعاً، ذهب عطشه من قبح حسو الديك نغبةً نغبه، ومن لطع الكلب. وإنه ليرى الحمام وهو يشرب الماء! وهو ريان، فيشتهي أن يكرع في ذلك الماء معه. (٢٤)

ومن مناقب الحمام حبه للناس، وأنس الناس به، وأنك لم تر حيواناً قط أعدل موضعاً، ولا أقصد مرتبةً من الحمام. وأسفل الناس لا يكون دون أن يتخذها، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتخذها. وهي شيء يتخذه ما بين الحجام إلى الملك الهمام. (٢٥)

نتائج البحث:

يمكن أن نستخلص بعض النتائج المهمة من البحث، كالتالي:

أولاً: هاجم الفلاسفة المسيحيون الرأي القائل بأن الحيوانات تقع في مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان؛ حيث برر أوغسطين وغيره من الفلاسفة أن للحيوانات حقًا في الحياة.

ثانيًا: يعد البحث من البحوث المهمة التي تتعلق بالحيوان، وبالتالي فهو يقع في تخصص فلسفة البيئة.

ثالثا: دافع الجاحظ عن الحيوان وحقه في الحياة؛ حيث ظهر ذلك جليًا في كتابه "الحيوان" حيث ذكر للحيوانات فضائل أخلاقية مثل الإنسان، كوفاء الكلب، وخبث الثعلب.

الهوامش:

(١) **حقوق الحيوان، الجزء الأول، abuahmedalqarni@ ،٢٢رمضان، ١٤٣٨، ، ص٢٩.**

(٢) ديفيد ديجراتسيا : حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة ،ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص١٦.

(٣) أنيس منصور: وأنا اخترت القراءة، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٣، ص٧٥.

(٤) أندرو ديكسون وايت: بين الدين والعلم، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٣٨.

(٥) حقوق الحيوان، الجزء الأول، abuahmedalqarni@، مرجع سابق، ص٢٩.

(6) Peter singer: animal liberation, The Definitive Classic of the Animal Movement, open road media integrated, New York, 2015, p272.

(7) Charles C. Camosy: Peter Singer and Christian ethics: beyond polarization Peter Singer and Christian ethics: beyond polarization, University Cambridge Press, First published 2012, p84.

(8) JOHN PERRY: GOD, THE GOOD, AND UTILITARIANISM, Perspectives on Peter Singer, United States of America by Cambridge University Press, 2014, p57.

(9) ibid, p58.

(١٠) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان: الجزء الثاني، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٩٦٥ م، ص ١٦٣.

(١١) Yuri Dmitriyev : الإنسان والحيوان "من الأسطورة وطقوس تقديس الحيوانات وعبادتها إلى داروين وحماية البيئة والاستثمار الامثل لقوى الطبيعة الحية"، ترجمة د/ محمد سليمان عبود، دار النمر،الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٥٠.

(١٢) مكتبة الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الكتاب الأول الحيوان، الجزء الأول، مكتبة مصطفى البابلي، طنطا، ط٢، ١٩٦٥، ص ص: ١٥، ١٦.

(١٣) كمال الدين محمد موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٢، ص١١.

(١٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان :الجزء الخامس، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط، ١٩٤٣ م، ص ص: ٢١٠، ٢١١.

(١٥) ديفيد ديجراتسيا: حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة، مرجع سابق،ص١٦.

(١٦) د/سعيد علي عبيد: دفاتر فلسفية – إمام عبدالفتاح إمام (العدد الرابع)، جامعة الزقازيق، ٢٠١٤ ، ص١٥٣.

(١٧) المرجع السابق، ص١٥٣.

(١٨) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان :الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(*) إنني أتفق مع الجاحظ في هذا الرأي؛ لأن هذا المتأول قد جار على حق الكلب وظلمه، حيث إن الكلب لديه وفاء لا نجده في إنسان، ولكن الكلب في هذا الموقف لم يدرك ما بداخل اللص من نوايا سيئة، ولكن المشكلة الكبرى التي أراها في هذه القصة ان الراوي لهذه القصة قد اتهم الحيوان باللؤم لأنه سمح لإنسان – لص – من جنس البشر ان يدخل دار أخيه الإنسان ولم يلفت انتباهه مدى اللؤم والتحايل الذي وصل إليه الإنسان – اللص – في الوصول إلى رغباته المذمومة. الباحثة.

(١٩) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان: الجزء الثاني، مصدر سابق، ص ص: ١٤٣،١٤٤.

(٢٠) المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٢١) المصدر السابق، ص ص: ١١٦،١١٧ .

(٢٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان :الجزء الثاني، مصدر سابق، ص ص: ١٩٠، ١٨٩.

(٢٣) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان: الجزء الثالث، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٩٦٥ م، ص ١٤٤

(٢٤) نفس المصدر، ص ١٤٨.

(٢٥) نفس المصدر، ص ١٤٧.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١) حقوق الحيوان، الجزء الأول، abuahmedalqarni@،٢٢ رمضان، ١٤٣٨.

٢) ديفيد ديجراتسيا: حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

٣) أنيس منصور: وانا أخترت القراءة، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٣.

٤) أندرو ديكسون وايت: بين الدين والعلم، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، القاهرة ،٢٠١٢.

٥) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان: الجزء الثاني، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٩٦٥ م.

٦) Yuri Dmitriyev: الانسان والحيوان "من الأسطورة وطقوس تقديس الحيوانات وعبادتها إلى داروين وحماية البيئة والاستثمار الامثل لقوى الطبيعة الحية" ، ترجمة د/ محمد سليمان عبود ،دار النمر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٧) الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الكتاب الأول الحيوان، الجزء الأول، مكتبة مصطفى البابلي، طنطا، ط٢، ١٩٦٥.

٨) كمال الدين محمد موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٢.

٩) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان: الجزء الخامس، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٩٤٣ م.

١٠) د/ سعيد علي عبيد: دفاتر فلسفية – إمام عبد الفتاح إمام (العدد الرابع)، جامعة الزقازيق، ٢٠١٤.

١١) القرآن الكريم، سورة الكهف الآيات (١٨، ٢١،٢٢).

١٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان: الجزء الثالث، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٩٦٥ م.

ثانياً: المصادر والمراجع الإنجليزية:

(1) Peter singer: animal liberation, The Definitive Classic of the Animal Movement, open road media integrated, New York, 2015.

(2) Charles C. Camosy: Peter Singer and Christian ethics: beyond polarization Peter Singer and Christian ethics: beyond polarization, University Cambridge Press, first published 2012.

(3) JOHN PERRY: GOD, THE GOOD, AND UTILITARIANISM, Perspectives on Peter Singer, United States of America by Cambridge University Press, 2014.

The Image of the Animal in Islamic and Western Thought

(Augustine and Al-Jahiz: Selected Models)

Safaa Abdulhamid Zohdy

A Researcher at the Department of Philosophy

Faculty of Arts – South Valley University

Abstract:

The importance of the research lies in the fact that it deals with a kind of thorny philosophical issues, these human and environmental issues can be called controversial problems, as well as questionable, as no philosopher has a strict opinion, or a definitive thought that can end the dispute over these issues, this is because the animal problem is in its origin a moral problem, while it is also an environmental problem.

Since the research falls within one of the most important branches of contemporary applied philosophy, which is the philosophy of environment, if the environment is that physical, chemical, and biological medium that surrounds all living organisms, including man, then the philosophy of environment deals with what should be human behavior in Dealing with his environment, including land, plants, animals, and others. Therefore, environmental philosophy was one of the most important branches of normative philosophy such as aesthetics and ethics, as it examines the relationship of man to the earth, and the animals and plants that grow on it. Therefore, the research came from two medieval Islamic and Christian philosophers, namely: Augustine and Al-Jahiz.

Keywords: animal, Augustine, Al-Jahiz, animal liberation, environment